هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الجزء الأول

مستهل زرادشت

— ١ —

لما بلغ زارا الثلاثين من عمره ، هجر وطنه وبحيرته وسار إلى الجبل حيث أقام عشر سنوات يتمتع بعزلته وتفكيره إلى أن تبدلت سريرته ، فنهض يوماً من رقاده مع انبثاق الفجر وانتصب أمام الشمس يناجيها قائلاً : . .

— لو لم يكن لشعاعك من يُنير ، أكان لك غبطةٌ ، أيها الكوكب العظيم ؟ منذ عشر سنوات ما برحت تشرق على كهفي ، فلولاي ولولا نسري وأفعاي ، لكنت مَللت أنوارك وسئمت ذرع هذا السبيل ، ولكننا كنا نترقب بزوغك كل صباح لنتمتع بفيضك ونرسل بركتنا إليك . أصغ إليّ ، لقد كرهت نفسي حكمتي كالنحلة أتخمها ما جمعت ، فمن لي بالأكف تنبسط أمامي لأهب وأغدق إلى أن يغتبط الحكماءُ من الناس بجنونهم ويسعد الفقراء منهم بثروتهم

تلك هي الأمنية التي تهيب بي للجنوح إلى الأعماق ، كما تجنح أنت كل مساء منحدراً وراء البحار حاملاً إشعاعك إلى الشقة السفلى من العالم ، أيها الكوكب الطافح بالكنوز

لقد وجب عليّ أن أتوارى أسوة بك ، وجب عليّ أن أرقد على حد تعبير الأناسيّ الذين أهفو إليهم

باركني ، إذن ، أيها الكوكب ، فأنت المقلة المطمئنة التي يسعها أن تشهد ما لا يحد من السعادة دون أن تختلج كمقلة الحاسدين

بارك الكأس الدهاق تسكب سلسبيلاً مذهّباً ينثر على الآفاق وهجاً من مسراتك .

أنظر ! إن هذه الكأس تريد أن تندفق ثانية ، ويريد زارا أن يعود إنساناً

وهكذا بدأ جنوح زارا إلى المغيب

— ٢ —

وانحدر زارا من الجبال فما لقي أحداً حتى بلغ الغاب حيث انتصب أمامه شيخٌ خرج من كوخه بغتةً ليفتش عن بعض الجذور والأعشاب ، فقال الشيخ :

— ليس هذا الرحّالة غريباً عن ذاكرتي ، لقد اجتاز هذا المكان منذ عشر سنوات ، ولكنه اليوم غيره بالأمس

لقد كنتَ تحمل رمادك في ذلك الحين إلى الجبل ، يا زارا ، فهل أنت تحمل الآن نارك إلى الوادي ؟ أفما تحاذر يا هذا أن ينزل بك عقاب من يضرم النار ؟

لقد عرفت زارا ، هذه عينه الصافية ، وليس على شفتيه للاشمئزاز أثر ؛ أما تراه يتقدم بخطوات الراقصين ؟

لقد تبدلت هيئة زارا ، إذ رجع بنفسه إلى طفولته . لقد استيقظت يا زارا فماذا أنت فاعل قرب النائمين

كنت تعيش في العزلة كمن يعوم في بحر والبحر يحمل أثقاله ، وأراك الآن تتجه إلى اليابسة ، أتريد الاستغناء عمن حملك لتسحب هامتك على الأرض بنفسك ؟

فأجاب زارا : إنني أحب الناس

فقال الشيخ الحكيم : إنني ما طلبتُ العزلة واتجهتُ إلى الغاب إلا لاستغراق في حبهم ، أما الآن فقد تحولت حبي إلى الله ، وما الانسان في نظري إلا كائن ناقص ، فاذا ما أحببته قتلني حبه

فأجاب زارا : ومن يصف لك الحب الآن ! إنني لا أقصد الناس إلا لأنفحهم بالهدايا

فقال الحكيم القديس : إياك أن تعطيهم شيئاً ، والأجدر بك أن تأخذ منهم ما تساعدهم على حمله ، ذلك أجدى لهم على أن تقسم سهمك من هذا الخير ، وإذا كان لا بد لك من العطاء فلا تمنح الناس إلا صدقة على أن يتقدموا اليك مستجدين أولاً

فأجاب زارا : أنا لا أتصدق ، إذ لم أبلغ من الفقر ما يجيز لي أن أكون من المتصدقين

فضحك القديس مستهزئاً وقال : حاول جهدك إذن إقناعهم بقبول كنوزك ، إنهم يحاذرون المنعزلين عن العالم ، ولا يصدقون بأننا نأتيهم بالهبات ؛ إن لخطوات الناسك في الشارع وقعاً مستغرباً في آذان الناس . إنهم ليجفلون على

مراقدهم إذ يسمعونها فيتساءلون : إلى أين يزحف هذا اللص ؟!

لا تقترب من هؤلاء الناس . لا تبارح مقامك فى الغاب ، فالأجدر بك أن تعود إلى مراتع الحيوان ، أفلا يرضيك أن تكون مثلى دباً بين الدببة وطيراً بين الأطيار ؟

فسأل زارا : وما هو عمل القديس فى هذا الغاب ؟

فأجاب القديس : إننى أنظم الأناشيد لأترنم بها ، فأرانى حمدت الله إذ أسرّ نجواى فيها بين الضحك والبكاء ، لأننى بالانشاد والبكاء والضحك والمناجاة أسبح الله ربى ، ومع هذا ، فما هى الهدية التى تحملها الينا ؟

فانحنى زارا مسلما وقال للقديس : أى شىء أعطيك ؟ دعنى أذهب عنك مسرعا كيلا آخذ منك شيئاً

وهكذا افترقا وهما يضحكان كأنهما طفلان

وعندما انفرد زارا قال فى نفسه :

— إنه لأمر جد مستغرب ، ألما يسمع هذا الشيخ فى غابه أن الاله قد مات[1]

— ٣ —

وإذ وصل زارا إلى المدينة المجاورة ، وهى أقرب المدن إلى الغاب ، رأى الساحة مكتظة بخلق كثير أعلنوا من قبل أن بهلوانا سيقوم هنالك بالألعاب ، فوقف زارا فى الحشد يخطبه قائلاً :

— إننى آت اليكم بنبأ الانسان المتفوق ، فما الانسان العادى إلا كائن يجب أن نفوقه ، فماذا أعددتم للتفوق عليه ؟

إن كلا من الكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه ، وأنتم تريدون أن تكونوا جزراً يصد الموجة الكبرى فى مدها ؛ بل إنكم تؤثرون التقهقر إلى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوق على الانسان . وهل القرد من الانسان إلا سخريته وعاره ؟ لقد اتجهتم على طريق مبدؤها الدودة ومنتهاها الانسان ، غير أنكم أبقيتم على جل ما تتصف ديدان الأرض به . لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى ؛ على أن الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود فى قرديته

ليس أوفركم حكمة إلا كائن مشوش لا يمت بنسبه إلى أصل صريح ، فهو مزيج من النبات والأشباح ، وما أدعو الانسان ليتحول إلى شبح أو إلى نبات

لقد أتيتكم بنبأ الانسان المتفوق

إنه من الأرض كالمعنى من المبنى ، فلتتجه إرادتكم إلى جعل الانسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحاً لها

أتوسل اليكم ، أيها الأخوة بأن تحتفظوا للأرض باخلاصكم فلا تصدقوا من يعنونكم بآمال تتعالى فوقها ؛ إنهم يعلقونكم بالمحال فيدسون لكم السم ، سواء أجهلوا أم عرفوا ما يعملون ، أولئك هم المزدرون للحياة ، لقد رعى السم أحشاءهم فهم يحتضرون ؛ لقد تعبت الأرض منهم فليقلعوا عنها

لقد كانت الروح تنظر فيما مضى إلى الجسد نظرة الاحتقار فلم يكن حينذاك من مجد يطاول عظمة هذا الاحتقار . لقد كانت الروح تتمنى الجسد ناحلاً قبيحاً جائعاً متوهمة أنها تتمكن بذلك من الانعتاق منه ومن الأرض التى يدب عليها . وما كانت تلك الروح إلا على مثال ما تشتهى لجسدها ناحلة قبيحة جائعة ، تتوهم أن أقصى لذتها إنما يكمن فى قسوتها وإرغامها .

أفليست روحكم ، أيها الأخوة ، مثل هذه الروح ؟ ألما تعان لكم أجسادكم عنها أنها مسكنة وقذارة وأنها غرور يسترعى الاشفاق ؟

والحق ما الانسان إلا غدير دنس ، وليس إلا لمن أصبح محيطاً أن يقتبل انصباب مثل هذا الغدير فى عبابه دون أن يتدنس

تعلموا من هو الانسان المتفوق

إن هو إلا ذلك المحيط تغرقون احتقاركم فى أغواره

وهل تتوقعون بلوغ معجزة أعظم من هذه المعجزة ؟

لقد آن للاحتقار أن يبلغ أشده فيكم ، بعد أن استحال شرفكم ذاته كما استحالت عقولكم وفضائلكم إلى كبر واشمئزاز

لقد آن لكم أن تقولوا : ما يهمنى شرفى ، وما هو إلا مسكنة وقذارة وغرور ، فى حين أن على الشرف أن يبرّر الحياة نفسها

لقد آن لكم أن تقولوا : ما تهمنى القوى العاقلة فىّ ، إذا لم تطلب الحكمة بجوع الأسد ، وما هى الآن إلا مسكنة وقذارة وغرور

لقد آن لكم أن تقولوا : ما تهمنى فضيلتى فلنها لم تصل بى

(١) راجع المقدمة فى العدد الماضى من الرسالة